# كشف الأسرار عن أسماء المشايخ الكبار
# الذين ترجم لهم الكفوي في كتائب أعلام الأخيار
# من فقهاء مذهب النعمان المختار

الأستاذ الدكتور

محي هلال السرحان

الأستاذ الدكتور

محي هلال السرحان

# الامام أبو حنيفة ودوره في إثراء التشريع

الحمد لله العظيم ، والصلاة والسلام على نبيه الكريم ، سيدنا محمد بأفضل الصلاة وأتم التسليم ، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه القويم .

أما بعد...

فقد كان للإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت (المتوفى ١٥٠هـ) دور كبير في فتح آفاق واسعة وعميقة في ازدهار التشريع الإسلامي ، وتنشيط حركة الاجتهاد والتفريع أمام طلبة العلم الشرعي ، وآثاره المسائل الفقهية فيه ، وبحثها ، والتدليل عليها ، كانت مبعث الدراسة والتأليف ، كما كان له دور كبير في إرساء قواعد لاستنباط الأحكام والترجيح بينها وفق منهج قويم ومسلك سليم ، حتى قال الامام الشافعي (المتوفى ٢٠٤هـ) في حقه :

(الناس عيال على أبي حنيفة في الفقه)[١]

وقال أبو العباس بن سريج الفقيه الشافعي (المتوفى ٣٠٦هـ ) : (إليه يعود الفضل في وضع مسائله)[٢] أي الفقه.

---

[١] قول الامام الشافعي (الناس عيال ... ) أخرجه الخطيب البغدادي بسنده الى الربيع تلميذ الشافعي يقول (سمعت الشافعي يقول الناس ... الخ) ، انظر تاريخ بغداد ٣٤٦/١٣ ، وانظر هذا القول في مناقب الامام ابي حنيفة للإمام الذهبي تحقيق الكوثري والافغاني.١٨-١٩. ومناقب ابي حنيفة للموفق ... ٢٨٤ ، ومناقبه للكردري : ٩٩ ، والخيرات الحسان : ١٢ ، وطبقات الحنفية لأبن الحناني بتحقيقنا ١٦٦/١.

الى جانب ما تميز به من شدة تحرزه في اخذ الحديث ، وما تميز به من حصافة الرأي والذكاء وسعة العلم ، والفكر الثاقب ، والأسلوب الرفيع في الإقناع وقوة الحجة.

أثر عن الامام مالك إمام دار الهجرة (المتوفى ١٧٩هـ) انه قال حين سئل عنه: (رأيت رجلا لو كلمك في السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته)[٣] .

وقد اتفق له أصحاب اجتمعوا له كأبي يوسف (المتوفى ١٨١هـ) المتقدم في علم الأخبار والآثار والبيان ، ومحمد بن الحسن المتوفى (١٨٩هـ ) المتقدم في الفطنة وعلم الإعراب والنحو والحساب ، والحسن بن زياد اللؤلؤي (المتوفى ٢٠٤هـ) المتقدم في السؤال والتفريع ، وزفر بن الهذيل (المتوفى ١٥٨هـ) المتقدم في القياس والرأي الرصين ... ويأتي في هذه الطبقة نوح بن أبي مريم (المتوفى ١٧٣هـ) وشريك (المتوفى ١٧٨هـ) وأسد بن عمرو البجلي (المتوفى ١٨٨هـ) وحفص بن غياث (المتوفى ١٩٤هـ) وغيرهم .... الذين كانوا إذا ألقى عليهم الإمام السؤال الفقهي بادروا الى دراسة المسألة وبعد النقاش والتشاور يقيد الحكم ، فكان مذهبه يقوم على الشورى[٤] ، وليس انفراديا.

وكانت حصيلة ذلك عشرات بل مئات المسائل التي كانوا يبحثون حكمها ويتشاورن في الاجتهاد فيها ، مما أدى الى إثراء الفقه وتوسيع التشريع.

فهذه المدرسة التي تقوم على الشورى في استنباط الحكم قد انتهجت نهجا جديدا في تدوين الفقه وتمحيص أحكامها .

---

[٢] انظر قول ابن سريج في المبسوط للسرخسي ٣/١ ، ومقدمة جامع مسانيد الامام الأعظم للخوارزمي : ٣٥/١.

[٣] قول الامام مالك: (رأيت رجلا ... ) رواه الصيمري بالسند عن ابن المبارك عن الامام مالك في كتابه أخبار أبي حنيفة وأصحابه : ٧٤. ورواه الخطيب بسنده عن الشافعي عن الامام مالك : تاريخ بغداد : ٣٣٧/١٣ – ٣٣٨. وأنظره في الخيرات الحسان لأبن حجر الهيتمي. ١٢،٤٤ ، وعقود الجمان ١٨٧.

[٤] كتاب أعلام الأخيار من فقهاء مذهب النعمان المختار (مخطوط) الورقة ٧٠-أ.

فحمل هؤلاء الأفذاذ علم شيخهم الى تلاميذهم ، وحمل التلاميذ ذلك العلم الى تلاميذهم ، حتى كانت هناك الجموع الغفيرة من حملة هذا العلم الشريف ، كانوا شموعا يهتدى بهديهم ، ويستنار بفكرهم على مر العصور ، يحملون علم هذا الرجل وعلم تلاميذه وعلم تلاميذ تلاميذهم جيلا بعد جيل ، ويثيرون مسائله ، ويفرعون عليها الفروع ، ويخرجون على أصولها التخريجات ، حتى أتحفوا الأمة بكتب هي ينابيع ثرة للعلم ، يغترف منها من يأتي بعدهم ، حتى ظهرت الحاجة الى ضبط أسماء هؤلاء العلماء وإحصاء كتبهم ، فكانت كتب (الطبقات) حافلة بمحامدهم ومناقبهم.

كتب الطبقات:

(الطبقات) في اللغة : جمع طبقة وتطلق على المرتبة ، والحال وغير ذلك[٥].

أما في الاصطلاح : فيقصد بالطبقات تقسيم الناس على شكل جماعات كل جماعة تكون في مرتبة[٦].

وتقسيم الناس على طبقات ، فن اسلامي اصيل كما يقول روزنثال[٧] ، قد بدأ بالظهور منذ عهود مبكرة من تاريخنا الإسلامي بدافع الحرص على الحديث النبوي الشريف ومعرفة اتصال السند الذي هو شرط مهم في صحة الحديث ، فالطبقة عند أهل الحديث كانت تطلق على جماعة من الناس تقاربوا في السن وفي الشيوخ الذين أخذوا عنهم[٨] ، ثم أخذت تستعمل في المدلول الزمني كأن تكون الطبقة مائة سنة أو أربعين أو عشرين أو عشرة ، او تطلق على جيل من الناس كطبقة الصحابة وطبقة التابعين ، ونجد

---

[٥] مادة (طبق) في الصحاح واللسان والقاموس .

[٦] المكتبة وأصول البحث ومصادره من تأليفنا بالاشتراك مع الدكتور حمودي زين الدين : ٢١٨.

[٧] علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة صالح احمد العلي: ١٣٣ – ١٣٤.

[٨] المختصر في علم الرجال الأثر لعبد الوهاب عبد اللطيف ط٣ ، القاهرة ١٣٨١هـ – ١٩٥٢م.ص١٨.

آخرين استعملوها في صنف من الناس تميزوا بالعلم والمعرفة وتشابهوا في الاجتهاد والاستنباط[٩].

وقد شملت فكرة الطبقات ميادين المعرفة والبحث العلمي أحوال الرجال ، كالتاريخ والأدب والشعر واللغة والنحو والقراءة والتفسير والفقه. فهناك طبقات المحدثين وطبقات النسابين وطبقات الأدباء والشعراء واللغويين والنحويين والقراء والمفسرين والفقهاء.

وقد ألفت في طبقات الفقهاء كتب كثيرة كطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (المتوفى ٧٧١هـ) وطبقات الحنابلة لأبي يعلى (المتوفى ٥٢٦هـ) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض (المتوفى ٥٤٤هـ).

أما ما ألف في طبقات الفقهاء الحنفية ، فقد ازدانت المكتبة بكثير من المؤلفات ذكرناها مستقصاة في مقدمة كتاب طبقات الحنفية لأبن الحنائي[١٠] ، طبع منها كتاب الجواهر المضية للقرشي (المتوفى ٧٧٥هـ) وتاج التراجم لأبن قطلوبغا المتوفى (٨٧٩هـ) وطبقات الحنفية لعلي بن أمر الله المعروف بأبن الحنائي او بقنالي زاده (المتوفى ٩٧٩هـ) والطبقات السنية في تراجم الحنفية لتقي الدين عبد القادر التميمي (المتوفى ١٠١٠هـ) والفوائد البهية لأبي الحسنات اللكنوي (المتوفى ١٣٠٤هـ).

وقد برز من بين المؤلفين في طبقات الحنفية القاضي الكفوي في كتابه (كتائب أعلام الأخيار) إذ فاق سابقيه في الاستقصاء وعمق الترجمات وبما تميز به من الخصائص التي سنذكر بعضا منها. فمن هو الكفوي ؟ وما هي طبيعة كتابه الكتائب؟ وما دوره في إثراء الجانب العلمي؟

الكفوي:

---

[٩] مقدمتنا لكتاب طبقات الحنفية لأبن الحنائي: ١/٧٦-٧٧.

[١٠] المصدر نفسه ١/٨١-٨٤ .

وهو القاضي الشيخ محمود[١١] بن سليمان الكفوي ثم القسطنطيني الرومي الحنفي (المتوفى ٩٩٠هـ= ١٥٨٢م) نسبته الى بلدة كفه التركية ، تعلم في بلدته على يد علمائها ثم انتقل الى القسطنطينية ، وتولى التدريس في مدرسة الكوراني وتولى القضاء في سينوب وفي كفه مدة ثم عاد الى القسطنطينية معزولا وتوفى بها.

وقد تكلم عن نفسه في كتابه (الكتائب) فذكر[١٢] من شيوخه الذين أخذ عنهم العلم السيد محمد بن عبد القادر ومحمد بن عبد الوهاب وصدر المعالي عبد الرحمن بن علي القاضي ، وذكر قبل نهاية الكتاب[١٣] ، من مشايخه تقي الدين أبا بكر بن الحاج خير الدين الكفوي وصحبته في سفره الى القسطنطينية ونص أجازته له ، كما ذكر أيضا في نهاية الكتاب أن عمره حين صنفه ستون عاما[١٤].

كتاب كتائب أعلام الأخيار:

أما كتابه (كتائب أعلام الأخيار من فقهاء مذهب النعمان المختار) ،الذي لا يزال مخطوطا لم ير نور الحياة بالطباعة ، فقد كان (معلمة) في رجال الفقه الحنفي ، وسجلا ضافيا لفقههم المنتزع من كتبهم وفتاواهم وأحاديثهم مع المداخلات التي تقع في تلك المسائل ، دون فيه عددا كبيرا من أعلام الفقه الحنفي مقدما لهم بمقدمة عن حالة الفقه والفقهاء منذ عهد رسولنا الكريم سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وعهد صحابته ، وكبار التابعين حتى عهد الامام أبي حنيفة مارا بأئمة المذاهب الفقهية المشهورة ، مترجما

---

[١١] انظر ترجمة محمود الكفوي في هدية العارفين ٤١٣/٢ ، الأعلام للزركلي : ١٧٢/٧ ، وذكر فيه أن له ترجمة في ذيل الشقائق النعمانية للعطائي ٢٧٢/٣ ، ومعجم المؤلفين: ١٦٨/١٢ ، وفيه أن الشيخ عبد الغني النابلسي قد ذكره في الرحلة ٥٤ /٢ ، ٢/٥٥ ، ولم أجد ذلك في رحلته المسماة (الحقيقة والمجاز في الرحلة الى بلاد الشام ومصر والحجاز). ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦ ولعل ذلك في كتابه الآخر المسمى (الحضرة الانسية في الرحلة القدسية) وتاريخ الأدب العربي لكارل روكلمان : ٣٣٩/٩ ، والتعليقات السينة لأبي الحسنات للكنوي على الفوائد البهية له : ٣-٤.

[١٢] انظر الورقة: ٧٠أ و ٧٠ ب.

[١٣] انظر الورقة ٤٢٠ ب وما بعدها.

[١٤] انظر الورقة : ٤٢٤أ .

لكل منهم ، ولما انتهى من ذلك ابتدأ بترجمة الامام أبي حنيفة رحمه الله وتلاميذه ، ومن جاء بعدهم من الفقهاء المنتسبين الى مذهبه متناولا معه سير بعض الأولياء والصلحاء من الزهاد والمتصوفة وأشياء من أحوالهم وكراماتهم وأقوالهم ، فذكر الكفوي في الكتاب (في حدود إحصائيتي الكليلة) ٧٧٤ علما قد يكرر بعضهم وقد يذكر مع بعضهم أفراد أسرته من الفقهاء والقضاة ، ذاكرا في الترجمة ما يحتاج الى معرفته من ذكر اسم المترجم له ، ونسبه ونسبته وتاريخ وفاته ، وقد يذكر ولادته على نحو قليل ، ولم تخل كل ترجمة من ذكر سلسلة أسانيد المترجم لهم في تلقي الفقه عن شيوخهم بسند متصل الى الامام أبي حنيفة ، مع ذكر بعض آثار المترجم لهم وبعض فوائدهم الفقهية والحديثية والتفسيرية واللغوية ، مستقاة من تأليفهم وفتاواهم وأخبارهم وأحاديثهم وما يثار حول تلك الأقوال من النقد ... وغير ذلك. ورتب أسماء هؤلاء الأعلام على كتائب (جمع كتيبة) كما يفعل قادة العساكر في ترتيب جيوشهم على الكتائب وقد بلغ عدد الكتائب عنده اثنتين وعشرين كتيبة ، كانت كل كتيبة بمقام (الطبقة) ، لوحظ في كل كتيبة تقارب المدة الزمنية لوفيات أشخاصهم ، يتراوح عدد الأعلام فيها ما بين ١٧ – ٣٢ علما ، وقعت النسخة الخطية المحفوظة من هذا الكتاب في المدرسة القادرية[١٥] في ٦+٤٢٦+١ ورقة في ٣١ سطرا بقياس ٢٦×١١ سم احتوت الأوراق الست الأولى على فهرس بأسماء المترجم لهم.

هذا وكنت قد عزمت على تحقيق هذا الكتاب والتمهيد لجمع نسخهِ منذ زمن طويل غير اني قرأت في النسخة المحققة من كتاب الجواهر المضية[١٦]. والنسخة المحققة

---

[١٥] انظر كتاب الآثار الخطية في المكتبة القادرية في جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني تأليف الأستاذ الدكتور عماد عبد السلام رؤوف . مطبعة المعارف بغداد ١٩٨٠. ١٦٦/٤ – ١٦٧. المخطوطة رق ١٢٤٢م.

[١٦] انظر مقدمة الجواهر المضية بتحقيقه ط١ مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ج١ ، ص٩٨.

من الطبقات السنية[١٧] أن محققهما الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو قد أشار إلى انه قام بتحقيق الكتاب وهو من المحققين المتقنين ، غير اني لم أجد له ذكرا لا في كتب المحققين ولا في فهارس دور الطبع المصرية ومكاتبها ، على الرغم من مرور أكثر من عشرين سنة على ذلك.

هذا ومن المعلوم أن الإمام أبا الحسنات محمد بن عبد الحي اللكنوي الهندي (المتوفى ١٣٠٤هـ) كان قد لخص كتاب (الكتائب) بكتابه المسمى بالفوائد البهية حاذفا منه ما يتعلق بالمقدمات التمهيدية عن حالة الفقه والفقهاء وما يتعلق بذكر الأولياء والصلحاء قد بلغ عدد المترجم لهم عنده ٥٤٦ علما ، لذلك تبقى الحاجة قائمة الى طبعهِ طبعا متقنا.

أهمية كتاب الكتائب في إثراء الجانب العلمي:

إلى جانب ما ذكرنا من نفاسة الكتاب وقيمته العلمية وكونه سجلا لفقه أعلام المذهب الحنفي ، وعمق المعالجة فيه لترجمات المترجم لهم ، والإحصاء الدقيق لأسمائهم وأنسابهم منذ عهد الامام أبي حنيفة إلى عهد المؤلف وغزارة المادة فيه ، ونقله لكثير من المسائل الفقهية من كتب المترجم لهم وأحاديثهم وفتاواهم وأقضياتهم – نجد فيه ما بذله مؤلفه من عرض تلك المسائل ونقل الردود والنقد والاعتراضات عليها على وجه يوحي بتطور الحركة العلمية تطورا كبيرا يوضح لنا جليا الدور الذي قامت به مدرسة الامام أبي حنيفة في تطور الفقه وازدهاره ، فأثمرت جهود هذه المئات من الأعلام الذين وردت ترجماتهم واعتراضاتهم في الكتاب من المؤلفين والقضاة والمفتين ، خصوبة فكرية عميقة وبعدا تشريعيا واسعا شمل كل مجالات الحياة التي هي في تجدد مستمر ، فوفت بما يقتضيه التطور السريع للمجتمعات ؛ يأتي ذلك لصفاء تفكير هؤلاء ، وسعيهم الى خدمة العلم الشرعي بكل ما أوتوه من قدره ، ولكون الفقه الحنفي هو المذهب الرسمي للدولة آنذاك فوضع على المحك في كل طارئ يطرأ فكانت تلك الخصوبة والتنوع في العطاء الفكري

[١٧] أشار المحقق إلى أرقام الترجمات الواردة فيه في الطبقات السنية ط١ دار الرفاعي الرياض ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م انظر على سبيل المثال ٧٣/١ ، ١٩٤، ١٩٧ وغير ذلك من المواضع.

الأمر الذي جعل لهذه المدرسة أثرا كبيرا في تطور التشريع الفقهي ومن ثم القانوني في الدولة العثمانية وانتقال ذلك الى الغرب ... حتى تكللت هذه الحركة بصياغة مجلة الأحكام العدلية وإقرار العمل بها بصورة رسمية في الدولة العثمانية سنة ١٢٩٣هـ التي كانت ولا تزال أساسا تشريعيا لقوانين البلاد العربية.

وخلاصة القول أن كتاب (الكتائب) ليس كتاب تراجم لشخصيات الفقهاء الأحناف فحسب ، بل ديوان علمي لآرائهم وفقههم المبني على اصول فقه الامام ابي حنيفة وقواعده ومنهجه.

ولذلك سيبقى كتاب (الكتائب) معينا ثرا وموئلا نافعا لطلبة العلم يجدون فيه رافدا كبيرا من روافد تعميق البحث في النطاق الفكري التشريعي الى جانب نطاق الترجمات الشخصية للفقهاء ، وترتيبه على شكل الكتائب او الطبقات يحدد لنا منزلة الفقيه بين معاصريه أولا وبين من سبقه او تأخر عنه ، وهي خصيصة أخرى لا نجدها في غيره من الكتب .

وأنا إذ أنبه على أهميته العظيمة فإنما أستحث طلبة الدراسات العليا على الرجوع إليه حين القيام بترجمة لأحد الفقهاء الحنفية ، فإني وجدت كثيرا من الطلبة يجهلون حقيقته ولا يأتي على بالهم انه من مصادرهم.

ولتسهيل الرجوع الى تراجمه أدون فيما يأتي أسماء المترجم لهم في النسخة الخطية من كتاب (الكتائب) الموجودة في المكتبة القادرية مرتبة على الأحرف الهجائية مشيرا الى رقم الورقة التي وردت فيها الترجمة. وبالله التوفيق.